# الفصـــــل الثالث

# (سونيا)

"رغم أن "خميس" رفض حب "سونيا" إلا أنها مازالت تحبه، فلم تطوع لها نفسها أن تنفذ الخطة التي خططها "ونّس" و "كيشة"، وهى خطف "شكرات" أخت "خميس"، فتبحث "سونيا" عن رقم هاتف لـ "خميس"؛ لكي تحذره بأن أخته في خطر ليأخذ حذره".

"سونيا" ترجع إلى بيتها بعد أداء فقرة الرقص الخاصة بها في "الكباريه"، الذي تعمل به، فتتفاجأ بـ "كيشه وونّس" يتناولان الخمور والمخدرات في شقتها، فهما من جعلا من سونيا سونيا، بعد ما كانت تبيع المناديل في الشوارع، وأحيانًا كانت تبيع الورد والفل في الحدائق العامة، حينما كانت فتاةً صغيرة، وهم من أطلقوا عليها اسم "سونيا" بدلًا من "سكينة"، وزرعوها في الكباريه الذي تعمل به الآن؛ لكي تستطيع أن تأخذ منه معلومات عن الزبائن الذين لديهم أموالًا طائلة، فتستدرجهم إلى شقتها في كمين وضع خصيصًا لهؤلاء الأغنياء المنحلين الفاسدين عديمي الأخلاق والشرف والدين.

_ بت يا سيدة، انتي فين يا بت يا مقروصة في قلبك؟ تعالي بسرعة يا اللي تنشكّي في معاميعك، خدي يا بت الشنط ديّه دخليهم المطبخ.

* حاضر يا ستي.. باقول لك إيه يا ستي الجماعة دول....

_ يوه بتوع المعلم مرعي.

* قاعدين جوّا يا ستي ونازلين شرب من الصبح وأنا من

الصبح متهددة ومرعوبة منهم يا ستي ليعتدوا عليّا.

_ ما تخافيش يا بت دول بتوع شرب وبس.

* يا ستي هو اللي بيكون مسطول عارف بيعمل إيه؟

_ خلاص يا بت ما تخافيش أنا جيت، وبعدين همّا مش بييجوا هنا إلا لما بيكونوا هايدبّروا أو هايخططوا لحاجة، روحي انتِ يلّا حضّري المسائل.

"سونيا" تدخل على المعلم "كيشة" والمعلم "ونّس"، بعد أن ارتدت الزي الخاص بالسهر والفرفشة، وذهبت "سيدة" لتحضير مستلزمات السهرة...

- عايزين يا سونيا نفرفش الأول كدا ونعدل الطاسة؛ علشان فيه كلام مهم هانقوله لك وهاتنفّذيه بالحرف الواحد.

"ترد متأثرة وغاضبة":

_ كلام مهم يعني إيه؟! فهموني بقا هو أنا من إمتى ما نفذتش كل حرف بتقوله ليّا؟

~ المعلم كيشة ما يقصدش يا سونيا، بس هو قصده إن الموضوع اللي هانكلمك فيه مهم

ومش عايزين حد يعرف ولا يحس بيه نهائي.

_ بس الأول أعرف عن إيه، ونكمل التفاصيل بعد الرقصة والذي منه.

"ضاحكة ضحكة خليعة"

- يا فاهمني انت يا غزال.

تتنتهي "سونيا" من وصلة الرقص أمام "كيشة" و "ونّس"، وجلست، ليحدّثاها في موضوع خطف "شكرات"...

_ إيه، انتوا بتقولوا مين؟! مش دي شكرات أخت خميس؟ معقولة!!! طيب ليه؟! إيه اللي حصل؟!

- أنا هاقول لك إيه اللي حصل، وإيه المطلوب منك بالظبط، وتنفذيه بالحرف الواحد، مفهوم يااا سونسون؟ "بلهجة مليئة بالتهديد".

وبعدما ذهب "كيشة" و "ونّس"، تجلس "سونيا" سارحة، رغم أن "خميس" رفض حبها إلا أنها ما زالت تحبه، ومقتنعة من داخلها بأنها لن تنفذ الخطة التي خطط لها هذان الشريران، فتبحث "سونيا" عن رقم هاتف لـ "خميس"؛

لتحذره بأن أخته "شكرات" في خطر، فيأخذ حذره.

تعثر "سونيا" على رقم الحاج "يونس" صاحب دكان البقالة الكائن بجوار منزل "خميس" الذي يقطن فيه هو أسرته.

~ أيوه مين معايا؟

_ من فضلك يا عم الحاج كنت عايزة أكلم خميس عودة ضروري.

~ حاضر يا بنتي هاندهّولك.

"مناديًا على الصبي الذي يعمل عنده في المحل":

~ واد يا شوقي.. انده بسرعة على سي خميس يكلم واحدة ست عايزاه بسرعة يا ابني.

- ألو ألو.

_ إزيّك يا خميس، أنا لقيتك مابقتش تسأل علينا قلت نسأل إحنا.

- مين اللي بيتكلم؟

_ خلاص! نسيت صوتي يا خميس؟

- أنا ماعارفش مين اللي بيتكلم!

– أنا سونيا يا خميس، ولّا كمان مش عارف مين هي سونيا؟

- مين؟! سونيا؟ مين إدالك رقم التليفون ده؟

– يظهر إنك نسيت كل شيء بيننا، وبعدين اللي يسأل يا خميس ويدوّر هايلاقي،

ويوصل كمان، وانت قطعت مرة واحدة وبدون سابق إنذار، ونسيت حبنا.

- همّلي الحديت في الكلام الماسخ ده عاد.

_ دلوقتي بقا ماسخ يا خميس؟ على العموم أنا مش طالباك علشان نتكلم فى الشيء اللي انت نسيته، لكن أنا مانسيتهوش، وعملت بأصلي، أنا اتصلت بيك بس علشان أنبهك يا خميس تخلّي بالك، رجالة المعلم مرعي مش هايسيبوك في حالك، ما تخلّيش أختك شكرات تنزل نهائي من البيت الأيام ديّه مهما كانت الأسباب، "سلام يا من كنت حبيبي".

أثناء مكالمة "سونيا" مع "خميس"، كانت "سيدة" تتلصص عليها؛ لتسمع ما تقول، وانتظرت حتى نامت "سونيا"، وقامت بإبلاغ "كيشة" و "ونّس" بكل ما دار بينهما من حديث عبر الهاتف، فلقد كان كل همها الانتقام من "سونيا"؛ لسوء معاملتها لها.

"كيشة" و "ونّس" بعد سماع مكالمة "سيدة" قررا التخلص من "سونيا"؛ اعتقادًا منهما أنها خائنة، ولذلك قاما بالتخطيط مع "سيدة" بأن تضع لها بعضًا من مخدر الهيروين في الدولاب، ثم يقومون بإبلاغ الشرطة عنها، ويتخلصون منها للأبد.

_ يا أمّه عايز أقول لك الناس اللي كنت شغال معاهم بيدبروا ليّا حاجة عفشة،

وخايف الحاجة ديّا تيجي فتصيب حد من اخواتي.

* اخواتك صغار مش بيخرجوا من الدار إلا رجلي على رجليهم، مافيش غير أختك شكرات، ودي كبيرة وفي الثانوية العامة، يعني مش صغيرة، ودي تعرف تخلّي بالها من نفسيها.

_ يا أمه ما هي المشكلة إنها كبيرة عاد، والناس دي ماعندهمش ضمير نهائي.

* وانت عرفت كيف يا ولدي إنهم ناويين على حاجة عفشة لا قدّر الله؟ هو انت لساك على علاقة بيهم؟

_ لا يـا امّـه، ماليـاش صـالح بـيهم واصـل، لكـن فيـه نـاس بيعزوني بلغوني.

"كيشـة" يتنـاقش مـع "ونّـس" أن يسـتبعدا فكـرة خطـف "شـكرات"؛ لأنـه علـم أن والـد "خمـيس" يعمـل خفيـرًا علـى مصـنع كبيـر فـي منطقـة العاشـر مـن رمضـان، فاتفقـا علـى عمـل خطـة تكـون أفضـل مـن موضـوع الخطـف، مثـل سرقة المصنع، أو أي شيء آخر يسبب أذى لوالد "خميس"، المهم أن والد "خميس" يدخل السجن، فيضطر "خميس" إلى العودة للعمل معهم من جديد.

- لازم الخطـوة دي تكـون مدروسـة كـويس يـا كيشـة، أنـت عارف أصحاب المصنع دول، نـاس تقـال قـوي ومعروفين فـى البلد، وابن عمهم كان وزير الـــ ...

* عارف، ودا هايخلّي عودة رايح في داهية رايح رايح، يبقى لازم الخطة اللي نحطّها ماتخرّش الميَّة.

- ولا نقطة واحدة يا صاحبى .

_ والنبي يا امه خلي بالك من أخواتي قوي قوي.

= خلـي بالـك يـا توحيـدة زي مـابيقول لـك خمـيس ولـدك، أنـا

كمان النهار ده إحساسي غريب، مامطّمّنش، ماعارفش فيه إيه عاد؟ ربنا يسترها علينا.

* خلوها يا جماعة على الله، ربنا موجود ومطّلع، ومش راح يشمّت فينا عزول واصل.

"كيشة" و "ونّس" قاما بإحضار إطار كبير لجرار زراعي، وقاما بتحميله على سيارة -نصف نقل- يملكها صديق لهما، وقاموا بشراء عبوة "بنزين"، وانطلقوا قبل الفجر إلى المصنع الذي يعمل به والد "خميس"، وتوقفوا قبل نهاية سور المصنع من ناحية اليمين للبوابة بحوالي مائة متر تقريبًا، وقاموا بإنزال الإطار، وتركا سائق السيارة ليسكب عليه البنزين ويضرم النار به، ثم ينطلق بسيارته مسرعًا، أما هما فينطلقان إلى خلف المصنع، وقاما بالقفز على السور المؤدي للمبنى الرئيسي للمصنع، مستعينان بصديقين لهما، وهما: "شوكلى" و"نونو"، اللذان كانا في انتظارهما خلف المصنع، وقتها شب الحريق ولفت انتباه جميع الخفر بالمصنع.

في هذا التوقيت انطلق الخفير المسئول عن حراسة المبنى

الرئيسي للمصنع بسرعة ليبلغ المطافىء عن وجود حريق هائل بالقرب من المصنع؛ لأن الفاصل الذي بينه وبين المبنى الرئيسي هو سور المصنع فقط.

_ ألـو.. ألـو.. المطـافي، فيـه حريـق هنـا فـي ..... امممممممممم ...

ويتوفى شنقًا من الخلف، بعد أن تلقت المطافئ البلاغ بوجود الحريق الذي تخطى سور المصنع، واشتعل في الأشجار المتواجدة بالمصنع من الداخل، قام الجاني بفتح الخزينة، والاستيلاء على محتوياتها: "مليون جنيه ومستندات هامة"، وبعد دقائق تأتي سيارة المطافئ، وبعدها سيارة النجدة.

_ يعني انتوا ماتعرفوش حاجة عن الحريق؟

* والله يا باشا احنا كنا قاعدين ولاقيناها والعة مرة واحدة.

"الحبس لمدة أربعة أيام لكل من "عودة" وباقي الخفر على ذمة التحقيق"

_ ليه كدِه يا شكرات يا بنيتى؟! ليه كدِه يا حبيبتي، منهم لله اللي كانوا السبب.

تمر الأيام تلو الأيام، والإشاعات تنتشر انتشار النار في الهشيم؛ لأن "شكرات" مختفية، وأسرتها تبحث عنها في كل

مكان، وقد تم فصلها عن العمل.

وصل الخبر لوالدها وأخيها في السجن عن طريق أحد الأقارب أثناء الزيارات؛ فتوعّد أبوها بالانتقام منها، هي والشاب الذي يدعى "ماضي".

- شكرات بنتي أنا طفشت من الدار؟

يا دي العاار...

يا دي العاااار،

يا فضيحتي.. نفسي أكسر جدار السجن، وأطلع أخلص على التنين بيدي، شكرات ضيّعت شرفنا، يا دي العار اللي لحقنا.

* هوّن على نفسك يا صاحبي، أنا هاقوم بالواجب بدالك.

- لا أنا اللي لازم اغسل عاري بيدي وعن قريب.

"كان حوارًا قاسيًا بين "عودة" و صديقه "حميد" في إحدى الزيارات له بالسجن"

وتمر الأيام، واقترب موعد الإفراج عن "عودة"، كان دائمًا يسأل عن أية معلومات عن "ماضي"، فوعده "حميد" صاحبه بأن يجمع له المعلومات الكافية، في نفس الوقت كان

"ماضي" يستعد أيضًا للمواجهة؛ لأن كلًا من الأسرتين قد علموا بالأمر، وأن المواجهة ليست بالأمر الهين، فلا بد من الاستعداد على أكمل وجه؛ لأن الأمر متعلق بالشرف -مع صعايدة-، وهذا يعني أنه من المحتمل أن تكون هناك إراقة دماء.

_ باقول لك يا عم كامل!

* خير يا ماضي يا ابني.

_ أنا عارف يا عم كامل ان انت بتحبني أكتر من ولدك وإني أقرب ليك منه، وكنت عايز آخد رأيك في حاجة وعايزك تشيرني يا عمي.

* خير يا ماضي يا ابني، قلقتني عليك!

_ كنت عايز أشتري سلاح أحمي بيه نفسي من.....

* وأنا عارف يا ولدي من غير ما تكمّل.

_ عارف إيه يا عمي؟

* عارف إن شكرات على علاقة بيك يا ماضي.

لقد أصبحت الآن المواجهة بالنسبة لـ "ماضي" إلى حد ما بسيطة؛ نظرًا لمعرفة "كامل" عم "ماضي" بـ "عودة"،

ولكن كيف سيصلون إلى حل يعالج الأمر بعد خروج "عودة" من السجن؟ واللقاء الذي سيتم بينهم.

"توحيدة" -أم "شكرات"- خائفة على ابنتها من انتقام والدها عندما يخرج من السجن، ولكن الخطورة الأشد هو عم شكرات "عيَّاد"، الذي علم بالموضوع، فهو شخصية متسرّعة، ولا يتفاهم إلا بالسلاح، فهو الآن يبحث في كل مكان؛ لكي يعثر على "ماضي" و "شكرات"، ويفكر في خطف أحد أفراد أسرة "ماضي"؛ حتى يضغط عليه ويضطره للظهور ومواجهته.

_ خلّي بالك يا عياد، ماضي عنده عم اسمه كامل، قلبه ميت، وغني جدًا يا صاحبي، وكان معروف عنه إنه بتاع ليل وليه نزوات كتير قوي.

* تقصد إيه باللي بتقوله ده؟

_ أنا خايف عليك، كامل بيحب ماضي قووي أكتر من ولده، وماهايطيقش حد يلمسه.

* واعمل ايه عاد؟

_ اصبر لحد ما ابوها يخرج من السجن، ونبقى نفكروا في حل.

("كامل" يذهب إلى أم "ماضي" الحاجة "فايزة" في بيتها):

_ أنا عرفت البنت دي، كانت بتيجى البيت هنا كتير.

* ليه وقتها مالمّيتيش الدور لما عرفتِ حكايتهم؟ أو على الأقل كنتِ حذرتِ ابنك ماضي.

_ مين قال كدا؟ أنا أول ما سمعت وشوفت طردتهم على طول من البيت.

* كان المفروض من أول يوم جابها البيت، كنتِ قلتِ له إن دا مايصحش دول أهلها ناس صعايدة، وزي ما بيتقال مش بيتفاهموا غير بالسلاح، بس أنا قدّهم وقدود، وهاعرف أخوّفهم، دا إلا ماضي عندي، دا مش ابن اخويا وبس ده أخويا الصغير، عمومًا أنا جهّزت نفسي واستعديت كويس لهم في أول مواجهة بِيننا.

_ ربنا يخليك لينا يا حاج كامل ويخلي لك أسماء بنتك.

"ماضي" في ظل هذه الظروف والأحداث التي يمر بها يكاد

قلبه يخرج من صدره، بل ينخلع من شدة القلق والخوف، ربما يكون هناك أحد من أسرة "شكرات" متربصًا له، أو متربصًا لأي فرد من أفراد أسرته، فكان دائمًا يخرج متخفيًا ومتنكرًا في زي مختلف عن طبيعته؛ حتى لا يستطيع أحد من أقارب عودة التعرف عليه، حيث أنه كان من آن لآخر يذهب ليطمئن على أمه وأخواته، وذلك بعدما شاعت الأخبار عن علاقته بـ "شكرات".

_ عرفتِ ان شكرات بنت عودة عشقت واحد وهربت معاه؟

* آآآآآه ياختي سمعنا، البلد كلها بتتكلم.

_ مانعرفش اللي تسيب بيت أبوها وتهرب مع واحد يا صاحبي ديّتها إيه؟

* ديّتها طلقتين، خسارة فيها كمان.

_ اوعي يا بت تعملي زي شكرات بنت توحيدة وتسيبي البيت مع حد!

* لا يا اما هو أنا.....!

هكذا استقبل كلام الناس "عودة" بعد خروجه من السجن،

والذي كان من المفترض أن يُستقبل بالمزامير والزغاريد بعد قضاء مدة السجن والتي كانت خمس سنوات.

_ أني هاتجن يا جماعة، عايز حل دلوكيت بدل ما اقتلها هي وهو وانتحر، قولوا لي اتصرف كيييييييف؟

* بص يا عودة احنا نقعدوا مع كامل عم ماضي ونوصلوا لحل.

"كان نقاشًا حادًا بين "عودة" وأهل بيته حتى وصلوا إلى هذا الحل"

بعض الشخصيات الكبيرة من عائلة "ماضي"، وعائلة "عودة"، وبعض من الأشخاص الحكماء فى المنطقة، يلتقون في المكان المحايد المتفق عليه، مع العائلتين، وهو منزل أحد كبار البلد؛ وهو الحاج "معتمد شوقي"، وهو مكان مخصص لانعقاد الجلسات العرفية، وذلك للصلح والفصل في الأمور المتنازع عليها بين الأطراف، وهذه المجالس العرفية قد اعترف بها القانون بعد ذلك؛ لأنها حقنت الكثير من الدماء بين العائلات، وكان هذا عن طريق هذه المجالس العرفية.

_ على اتفاقنا يا حاج عودة؟

- على اتفاقنا يا حاج كامل، شكرات هاترجع بيت أبوها وماحدش هايقدر يمسّ شعرة منيها، وبعدها بسبوع تاجي يا كامل انت وماضي تطلبوا يدها، وقطع لسان أي حد يتكلم عليها نص كلمة.

_ وعد شرف يا حاج عودة ما حد يمسّ ماضي هو وأسرته بعدين؟

- بص يا وِلد اخوي، هاخد شكرات لبيت أبوها بيدي، وبعد ما الأمور تهدا بسبوع ولا حاجة نروح نطلب يدها على سنة الله، وقصاد الناس يا ولدي.

* اللي تشوفه يا عمي.

"هكذا اتفق كامل وماضي"

"كامل" يعلم أن "عودة" مبيّت النية، أو أن هناك شيئًا ما فى ضميره لا يعلمه قد يحدث؛ لأن الأمر لن يمر هكذا مرور الكرام، ولكن ما حدث هو شكليات أمام الناس فقط.

_ أني خايفه قوي يا عم كامل.

* ماتخافيش يا بتي، أنا وماضي هنوصلوكِ لباب بيتك، وانتِ عارفة كلام الصعايدة لما يقعدوا في قعدة عرفي.

* بتّك وصلت لعنديك يا عودة.

_ شكرًا لحد اكده يا حج كامل، مع السلامة.

"كامل" أصبح في دهشة وحيرة من كلام ونظرات "عودة"، التي تحولت إلى رصاص خارق وحارق فى ذات الوقت، وأُدخل الريبة والشك والقلق في قلب "كامل"؛ بسبب هذه الطريقة التي استقبله بها "عودة" عندما سلمه ابنته، فقد تأكد "كامل" من خلالها أنه سوف يُفعل بهذه البنت مكروه، ولكن ماذا؟! لا يدري ما هو العقاب، فالعقاب عندهم له أشكال وأساليب كتيرة، وهل سيكتفي بعقاب البنت وحدها فقط أم ماذا؟

- احكي لي كل حاجة بالتفصيل يا بتي.

* بص يابوي، أني حبيت ماضي؛ لأنه شاب طموح، وأخلاقه عالية، وطيب، وراجل يعتمد عليه، وله مستقبل، أنا ماقدرتش أحكي لأمي؛ لأني كنت عارفة الجواب، لأني أعرف كويس عادات الصعايدة، وإن عيلتنا على وجه التحديد بناتهم ما

بيتجوزوا من برّا العيلة، وكنت عارفة مدى حب ماضي ليا يابوي، وأنا لسّاني بت بنوت.

"شكرات" هنا تعطي مبرارات فقط؛ لتمتص غضب والدها، أو أنها تقلل من العقاب، فهذا ما كان يصوره لها ظنها فهي في موقف لا تحسد عليه.

- كيف تقعدي معاه شهر وما يجيش جنبك؟!

* وحياتك عندي يابوى ماجاش جنبي في الحاجة الكبيرة، صدقني يا بوي، ما تقلقش، وحياتي عندك يابوي ما تقلقش عاد.

"عدم قسمها بالله شكّك والدها في أنها محتمل أن تكون ارتكبت خطأً وتدّعى الشرف كذبًا".

الغَريب هنا، والعجب كل العجب- أن "عودة" لم يفعل شيئًا سوى اللوم، والنظرات القاسية لها، وهذا ما يدل على أنه قد عقد العزم على شيء ما، وهذا الشيء كبير جدًا، وهذا ما أحسته "شكرات" بقلبها.

وأمرها أن تدخل حجرتها، وألا تخرج منها إلا بأمره، وحذر

كل المتواجدين بالبيت، وأكد على أنها لا ترى الشارع مهما حدث، إلى أن يتصرف هو في أمرها.

- بص يا عياد يا أخوي، احنا هانخلص منّيها من غير ما حد يحس بينا.

"هكذا اتفق "عياد" و "عودة"، وهما يجلسان في مكان بعيد عن المنزل"

أحسّت "شكرات" ببوادر الشر تّدبّر لها، فأوهمت الجميع بأنها مرهقة جدًا، وتريد أن تنام، وفى منتصف الليل جاءت والدتها "توحيدة" إلى حجرتها التي تنام فيها هي وأختها الصغرى؛ لكى تطمئن عليها وتتحدث معها حديث الأم مع ابنتها، وتتأكد أنها مثلما تقول ما زالت عذراء، فوجدتها تغطّ، فتوهمت والدتها بأنها مستغرقة في النوم، فخرجت الأم قائلة:

- الصباح رباح، أروح أنام أنا، وربنا يجيب العواقب سليمة.

تتأكد "شكرات" من أن كل من في البيت مستغرقون في النوم جميعًا، وأن والدها خرج لمقابلة عمها "عيّاد"، الذي يسكن في منطقة بعيدة ولن يعود قبل الفجر، فظلت

كل دقيقة تنظر من الشباك المطل على الشارع؛ لتتجنب مفاجأة والدها لها حينما يدخل البيت.

فدخلت حجرة والدها، وأخدت كل الأوراق الخاصة بها، ثم دخلت حجرتها، وعلى قدر ما تستطيع حمله أخذت من ملابسها.